يشارك في افتتاحه رسمياً علماء ومفكرون من الوطن العربي والعالم الإسلامي:

جامع الصالح.. منبر إشعاع فكري وتحفة فريدة للعمارة الإسلامية

صنعاء / متابعات:

يفتتح اليوم الجمعة رسمياً جامع الصالح في العاصمة صنعاء بحضور وفود رفيعة المستوى من كبار المفكرين والشخصيات الدينية في العالمين الاسلامي والعربي، ابرزهم أمين عام منظمة المؤتمر الاسلامي الدكتور كمال الدين أوغلو، والدكتور محمد سيد طنطاوي، وأية الله محمد علي سخيري والدكتور يوسف القرضاوي.

ويعد جامع الصالح تحفة معمارية ومنبر اشعاع فكري وديني على مستوى اليمن والمنطقة العربية، يعول عليه القيام بدور كبير في تقديم الرسالة الاسلامية السماوية بكل ما تحمله من تسامح ووسطية واعتدال المنهج الفكري للاسلام من خلال ما ستقوم به الكليات والأقسام العلمية في تدريس وتعليم الطلاب الملتحقين بالكليات الشرعية والعلمية للجامع. والجامع الذي بلغت كلفته حوالى «60» مليون دولار تصل مساحته الكلية والمرافق التابعة له إلى 224 ألفاً و 813 متراً مربعاً، شاملة الطرق والحدائق وممرات المشاة ومواقف السيارات.. في حين يصل ارتفاع بناء الجامع الى 24 متراً ويتسع لأكثر من 40 ألف مصل داخل الجامع، بالإضافة إلى الباحات الجانبية.. كما يشتمل الجامع على مرافق وخدمات متكاملة ومواقف تتسع لحوالي ألف سيارة، وتحيط بالجامع مجموعة من الحدائق والمسطحات الخضراء..

وتتضمن فعالية افتتاح الجامع تنظيم فعاليات مصاحبة تتمثل في اقامة ست ندوات ومحاضرات علمية وفكرية تحت شعار «من أجل إحياء رسالة المسجد ودوره في حياة الأمة».. يشارك فيها نخبة من المفكرين وعلماء ومشايخ دين من اليمن والوطن العربي والاسلامي..

ومن ابرز عناوين تلك الندوات «الاسلام دين المحبة والسلام، وحدة أمة الاسلام واجب شرعي ومطلب حياتي».

واذا ما عدنا الى الحديث عن التحفة المعمارية والمركز التنويري والمعلم الاسلامي- جامع الصالح فإنه يمكننا القول وبكل فخر ان فخامة الرئيس قد ادرك أن هناك حاجة الى مشروع يُبرز إبداعاً نوعياً، يتخطى الحاضر، ليرتسم أفقاً في الازمنة القادمة، فكان قرر إنشاء مسجد جامع جديد في صنعاء يكون معلماً في فن العمارة، تتمثل فيه النهضة التي تشهدها اليمن في هذه الحقبة من تاريخه.

المكان.. التحفة

ووقع الاختيار على اقامة جامع الرئيس الصالح في منطقة السبعين وهي المنطقة المفتوحة التي تتقاطع مع الحركة الرئيسية للعاصمة صنعاء، وعلى مساحة قدرها (224) ألفاً و(813) متراً مربعاً، تشمل مبنى الجامع وكلية علوم القرآن والدراسات الاسلامية، والاصوات والمواضئ، ومواقف السيارات، والمناطق الخضراء.

ويتألف مبنى الكلية من ثلاثة ادوار ويضم خمسة وعشرين فصلاً للدراسة اضافة الى قاعات صلاة ومكتبات وقاعات اجتماعات.

الأرادة.. الرؤية

وقضت توجيهات الرئيس في بناء الجامع بوجوب المحافظة على الطابع العمراني اليمني، لاسيما بالنسبة للمنارات والواجهات الحجرية، فكان الجامع الكبير في صنعاء الملهم الاساسي للمهندسين في ذلك. وقد روعي ان يتخذ المشروع الشكل المستطيل، وقسمت قاعة الصلاة الرئيسية الى جناحين شرقيّ وغربي، أما الانطلاق من المنطقة الطرفية الى المنطقة الوسطى فتتأمن بتدرجات في جسم الجامع من الاسفل الى الاعلى وبتكوين فراغات أسفل القباب الرئيسية البالغة ثلاثاً وعشرين قبةً جاءت تحقيقاً للفكرة المعمارية وتأكيدها، وروعي فيها تدرج علاقة المصلي بالجامع عن طريق الاروقة حتى الوصول الى القبة الرئيسية الكبرى.

ويضم الجامع مصلى للنساء يقع أعلى الرواق الخلفي ويتصل بالجامع عن طريق نوافذ مطلة على قاعة الصلاة عبر مداخل خاصة، تحقق الفصل بين الرجال والنساء.

ومن الواضح أن الفكرة المعمارية قد خلفت تكويناً وشكلاً هندسياً رائعاً من الخارج يتيح للناظر فهم عناصر المشروع من كل الجهات.. ويتميز الجامع بست منارات فريدة ذات تصميم خاص، ارتفاع أربع منها يبلغ مائة وستة امتار مع الهلال، وقد استخدمتْ فيها اساسات خاصة تصل الى عمق خمسة وثلاثين متراً، وبقطر سبعين سنتيمتراً لكل مئذنة، وهو ما سيساعد في تقوية المبنى على مقاومة الزلازل.

استغلال الميزة الفريدة

ونظراً لاهمية المشروع من الناحية الدينية والتاريخية، فقد تم اختيار المواد المستخدمة فيه بكل دقة وجرى اختبار خواصها ومدى مطابقتها للمواصفات العالمية، وذلك للحصول على مواد ذات قدرة عالية في مواجهة العوامل البيئية والجوية.

وتعتبر الخرسانة المسلحة هي المكون الاساسي للهيكل الحامل للجزء الرئيسي والاهم في المشروع،ولذلك فقد تم إلى ابعد الحدود في استغلال الميزة الفريدة التي تتحلى بها المواد المكونة للخرسانة في اليمن والتي جعلت منها الخرسانة الاجود عالمياً.

يمني المصدر

إضافة الى ذلك وجّه الرئيس علي عبدالله صالح بأن تكون جميع مواد البناء المستخدمة في المشروع من مصادر يمنية، لا سيما بالنسبة للعناصر الرئيسية كالاحجار والغرانيت والرخام، وعلى هذا فقد ادت عملية البحث عن مصادر يمنية جديدة الى اكتشاف مقالع لم تكن معروفة سابقاً، والى التوسع في استغلال هذه المصادر مستقبلياً.

وهكذا برزت مجدداً الاحجار التي اشتهر اليمنيون عبر التاريخ باستعمالها كمادة للبناء، اضف الى ذلك احجار البناء والزينة بصفتها مصادر طبيعية تمتاز بقدرة فائقة على مقاومة العوامل البيئية وبتناغمها مع الطبيعة المحيطة، فضلاً عن عمرها الافتراضي الكبير، ولهذا الغرض تم اخذ عينات من احجار سد مأرب التاريخي، وعرش بلقيس، للمقارنة بين احجار الموقعين واحجار المصدر المعتمد لبناء جامع الرئيس الصالح.

اصناف الاحجار

وبناء على ذلك تم تحديد مواصفات المشروع باربعة اصناف من الاحجار، احجار بازلتية باللون الاسود واحجار جيرية بالالوان السوداء والبيضاء والحمراء، كما حددت المواصفات مقاسات احجار البناء بحيث لا يقل طول الحجر عن (160) سنتيمتراً ولا يقل ارتفاعه عن (80) سنتيمتراً, وخلال تنفيذ المشروع كان يتم عمل عينات معمارية بالشكل المطلوب وبعد موافقة الرئيس عليها يتم اعتمادها وتنفيذها.

واستخدم الحجر الجيري الابيض للواجهات الخارجية، والحجر الاحمر في الاحزمة الزخرفية في الواجهات فقط لقلة كمياته ولصغر احجام الاحجار المطلوبة، واخيراً تم اعتماد الجرانيت الاحمر المنقط بالابيض من اجل تكسية الاعمدة الداخلية للجامع.

اما الياجور الذي يمتاز بجمالية نادرة وبعمره الافتراضي الكبير، فتم اختياره كمادة بناء لتكسية واجهات المنارات حفاظاً على التراث المعماري اليمني العريق.ومن صميم التراث اليمني الزاخر باعمال خشبية فنية، تم استمداد تصميمات الاعمال الخشبية للجامع، ولهذا جرى اعتماد افخر انواع الاخشاب المعتمدة عالمياً لصناعة (15) باباً رئيسياً يزيد حجم الواحد منها عن (23) متراً مزخرفة بالخط العربي ومطعمة بالنحاس المعالج باحدث تقنيات ال« PDV ».. أما اعمال السقوف الخشبية فيفوق عددها (30) الف قطعة زخرفية معتقة بالذهب الخالص والالوان، ومثبتة بارتفاعات وصلت الى (23) متراً. اعمال الزخرفة ولاكساء قباب الجامع من الخارج، استخدمت مادة عصرية متطورة اسمها (الجي آر سي) وهي مادة تحاكي الجص اليمني لجهة الطواعية في اعمال الزخرفة، اضافة لميزاتها العالية لجهة الديمومة والمحافظة على الشكل، وبذلك تحققت رؤية فخامة الرئيس متجسدة بأبهى حللها في التوأمة بين التراث والتقنيات العلمية الحديثة.

وبما ان القمريات سمة رئيسة اصيلة في العمارة اليمنية تعود بدايات استخدامها الاولى في اليمن الى ما قبل (4000) عام، غير ان التطور الذي شهدته صناعة القمرية لم يستغن عن الطراز العام الاصلي، ولا عن المادة الاصلية التي تصنع منها، وهي مادة الجص البيضاء التي تنتج من حرق الحجر الجيري في محارق خاصة.

أما الوظيفة الاساسية للقمرية فظلت على ما هي عليه، إن قديماً او حديثاً فهي تدخل الضوء الطبيعي الى الغرف بألوانها الزاهية، وتضفي على المكان آيات من السحر، ولا ريب في أن جمالية القمريات المتعددة في جامع الصالح انما تتجلى بخاصة في زخارفها التي تنفرد بها عن غيرها مما في اليمن.

والثابت أن الجماليات في الفن الاسلامي تبرز بالتأكيد في العناصر الزخرفية، التي تعتمد الدوائر المتماسة والمتجاورة، والخطوط المتكسرة والمتشابكة، والاشكال النجمية والمضلعات الهندسية، وقد ابدع الفنانون اليمنيون في مشروع جامع الصالح بابتكار التكوينات والزخارف الهندسية التي توزعت على واجهات المباني الداخلية من خلال التوافق العام بين المعالجات التشكيلية ووسائل الاظهار من مواد البناء، فتوافر بذلك كله عامل الانسجام والطابع المشترك للمجموعات العمرانية كافة.

الواحد المتعدد في صور مختلفة

اما المحرك الخفي لتشكيل هذه الصورة الظاهرية فهو السعي الى أدراك الواحد المتعدد في صور مختلفة، فالتوحيد الذي دعا اليه دين الاسلام يترجمه الفن الاسلامي عبر نظام رياضي هندسي، فيصبح الجامع هو الرمز الاكبر للشأن الديني الذي جاء به الاسلام، كرسالة.. أما بشأن الطبيعة فتقتدي الزخارف الاسلامية بنظامها وبقوانينها المطلقة في التشكل والتلون و النمو والانتظام عبر الثنائيات التي هي مرادف للظاهر والباطن، للخفاء والعلن، للاول والآخر، فترى الحسي والملموس يتشكل بالتالي في هذا الفن ذريعةً بل حاجةً لمقاربة التجريد، وصولاً الى الجوهر.

وبالنسبة لنقش وكتابة الآيات فقد تم نقش سبعمائة وثماني آيات من اثنتين وستين سورة قرآنية، فيما بلغ عدد السور المكتملة في الجامع والكلية ثماني سور هي:(الفاتحة، يس، والرحمن، والقدر، والعصر، والاخلاص، والفلق، والناس).

أما اللافت في نجفات الانارة الداخلية انها مصنوعة من الكريستال العالمي المعروف، فيما استخدمت لمبات اضاءة حديثة لأنارة القباب والاعمدة داخل الجامع، وبالنسبة لإنارة المداخل الرئيسية ومصليات الرجال والنساء والممرات الداخلية والخارجية للكلية فقد تم استخدام النجف النحاسي النادر، المشغول يدوياً بنقوش عربية.

أنظمة التقنية

وتتوافر في الجامع احدث الانظمة التقنية الحديثة لكل ما يتعلق بالصوتيات والبث التلفزيوني المباشر، إضافة الى أنظمة متطورة للحماية من الحريق والصواعق.

ويمكن القول إن ما بادر إليه فخامة الرئيس علي عبدالله صالح أكثر من مشروع صرح جليل.. فهو درة لقلب المؤمن ولعين الناظر.. وحجر الزاوية في هذا المعلم الرائد انه يعيد في يمن اليوم صياغة الجامع بوظائفه العقائدية والمجتمعية المتعددة، متمكناً من استعادة دوره النهضوي التنويري منهلاً للمعارف والعلوم الدينية والانسانية. إنه يختزل في بنيته وروحانيته الملهمة، ذلك التواصل بين عراقة اليمن القديم بعمارته وحضارته وموروثه الاسلامي العريق وبين استدعاءات الحداثة ونداءاتها وبهذا التناغم الراقي تتلاشى الخصومة المفتعلة بين التراث والمعاصرة، ليبقى جامع الرئيس الصالح ذاكرة للمستقبل.

إشكالية مفهوم المصطلحات القرآنية

أنيس محمد صالح

لاحظت مؤخرا إن هناك العديد من المصطلحات القرآنية لا يزال يشوبها بعض الغموض, وعندما نتكلم أو لمحاولتنا تبيين بعض المفاهيم الضرورية في التأصيل القرآني , يبرز لدينا أول ما يبرز وقبل أي شيء, لأهمية ولضرورة توحيد المفاهيم حول:

- (مفهوم الإسلام في القرآن الكريم)
- (مفهوم الإيمان في القرآن الكريم)
- (الفرق بين الإسلام والإيمان في القرآن الكريم) ,
- (علاقة الشرك بالإسلام)
- (علاقة الكفر بالإيمان),
- (مفهوم الدين في القرآن الكريم)
- (علاقة جميع الكتب السماوية بالإسلام),
- (مفهوم الكفر في الإسلام)
- (مفهوم الشرك في الإسلام)
- (مفهوم الرسول في القرآن الكريم)
- (مفهوم النبي في القرآن الكريم)
- (الفرق بين الرسول والنبي)
- (الفرق بين الدين السماوي والدين الأرضي الوضعي)
- (الفرق بين القرآن الكريم والفرقان الكريم, الكتاب والحكمة, الشرعة والمنهاج, كتاب الله وسُنة الله, التوراة والفرقان, الإنجيل والبينات, المحكم والمتشابه)
- (ماهي أسماء ومرادفات القرآن الكريم وأسماء ومرادفات الفرقان الكريم)
- (الفرق بين النفس والروح)
- (ماهي مرادفات اليوم الآخر... يوم القيامة)
- (الفرق بين الصراط المستقيم وصراط الجحيم)
- (مفهوم الرسول الأمي في القرآن الكريم)
- (الشهادة في القرآن الكريم)
- (مفهوم الصلاة وإرتباطها بمفهوم إقام الصلاة)

وبرأيي الشخصي إنه لا يمكننا بحال من الأحوال أن نتكلم في بحوثنا أو دراساتنا القائمة على التدبُر من القرآن الكريم دونما مفهوم واضح مُتفق عليه بشبه إجماع حول المفاهيم المذكورة أعلاه, أو أن نطلق على أنفسنا (أهل القرآن) دونما معرفة حقيقية بالمفاهيم المذكورة أعلاه وما يترتب عليها في تدبرنا لاحقا للقرآن الكريم إجمالا, بمعنى آخر إنه لا يمكننا أن ننكر إننا جميعا أمام عقلية أصولية سلفية عمرها لا يقل عن 1200 عام من التجهيل والتضليل والعدوان والحرب على الله وكتبه ورسله والخلط الناجم من واقع ثقافتنا الأصولية السلفية.

ومن خلال تدبرنا للقرآن الكريم علينا تقع مسؤولية كبيرة, لضرورة أن نتجرد نحن بالدرجة الأولى رواد موقع أهل القرآن, ونواجه ما بداخلنا من أصولية سلفية قبل الحديث عن أصولية قرآنية, وأن نحاول قدر إستطاعتنا أن نتجرد كليا من أية ثقافة أو مفاهيم أصولية سلفية أثرت سلبا على فهمنا وتدبرنا لآيات الذكر في القرآن الكريم... وفُرضت علينا فرضا بجميع أدوات القمع والبطش ومنذ 1200 عام.

عدم الوضوح في المصطلحات أعلاه يقودنا بالضرورة إلى إننا جميعنا يجتهد وتكون كلها جهود شخصية ذاتية يتفق معها البعض ويختلف معها البعض الآخر, مع تأكيدنا إن جهودنا الشخصية هي ملزمة لنا شخصيا أمام الله وحده لا شريك له وليست مفروضة على الناس, كونها جهود شخصية ذاتية... ليس مُجمعا أو متفق عليها إجماعا.

الخلاف في الرؤى حول مفهومية المصطلحات والمعاني القرآنية أعلاه, تؤثر سلبا على فهمنا لديننا الحنيف من القرآن الكريم, فسنجد مثلا.... إنه لو قرأ القارئ الكريم بحثا لتعريف الإسلام للدكتور أحمد صبحي منصور, ويحدد من خلاله نوعين من الإسلام (إسلام سلوكي وآخر عقيدي) من وحي فهمه الشخصي لتعريف مفهوم الإسلام (لغة وتشريعا), ولو قرأ القارئ الكريم بحثا لتعريف الإسلام للأستاذ شريف هادي مثلا ويحدد من خلاله نوعين من الإسلام (إسلام كوني وآخر شرعي) من وحي فهمه الشخصي لتعريف مفهوم الإسلام (لغة وتشريعا), ولو قرأ القارئ الكريم بحثا لتعريف الإسلام للسيد أنيس محمد صالح مثلا ويحدد من خلاله مفهوم واحد للإسلام (التوحيد- عبادة واستعانة) من وحي فهمه الشخصي لتعريف مفهوم الإسلام (لغة وتشريعا), مع إن الجميع من المفكرين في الموقع يجمعون على إن الإسلام هو التسليم والإذعان لله وحده لا شريك له دون أدنى قيد أو شرط... ويختلفون في التفاصيل والمفاهيم والرؤى بحيث أصبح لدينا في موقع (أهل القرآن) خمسة أنواع من الإسلام (لغة وتشريعا).

وأصبح الحوار في بعض الأحيان ينحى إلى العزوف عن الخوض في هكذا موضوعات هامة ومحورية, وخاصة عندما يتردد البعض من المفكرين والكتاب وخشية البعض منهم من أن يُفهم الخلاف الفكري وكأنه خلاف شخصي!! يترتب عليه الاختلافات في الرؤى والمفاهيم والمواجهات الشخصية والسجالات الواهية أحيانا.

إذن نحن أمام إشكالية حقيقية, من واقع إن أولادنا وتلاميذنا من أتباع وأنصار هذا الفكر الإسلامي القرآني ومن, لا يستطيعون عمليا التمييز والرسو على مفاهيم محددة واضحة!! (من واقع الخلط لديهم في الرؤى المفاهيم)!! وبسبب تشتت واختلاف الرؤى والمفاهيم لدى مفكري الموقع عمليا, من تحديد فهمهم الشخصي وقناعاتهم وتأويلاتهم الفكرية المختلفة والمتباينة أحيانا, وانعكاسه تماما وسلبا على الآخرين في الموقع وخارجه... ولا أعتقد إن أي منا يمتلك الحقيقة كل الحقيقة, وأعتقد جازما إنه بحوارنا الهادئ الهادف البناء نستطيع الوصول إلى شبه إجماع وإلى أقرب الصواب.

وأعتقد جازما كذلك إنه ما لم نبيّن ونوضح ونفك الكثير من الرموز في المصطلحات أعلاه, وما لم نفتح حوارا مفتوحا يبدأ أولا لمعرفة شبه إجماعية ومتفق عليها لتلك المفاهيم والمصطلحات المذكورة أعلاه, وبالضرورة أن تبدأ بمفهوم شبه إجماع للإسلام أولا, من وحي كتاب الله القرآن الكريم مع الشكر والتقدير لتأويلاتنا ومفاهيمنا الشخصية, وبغير ذلك فسنظل نحوم في الكثير من الخلط وعدم الرضا والاختلافات الشخصية وستظل جهودنا كلها مشتتة وفي دوائر مفرغة لا تشبع ولا تغني من جوع, غير مفيدة للموقع ورواده ومُريديه.

كاتب وباحث إسلامي يمني